اقتراح أساليب تعليمية تهدف إلى تنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى النشء العربي

سفيان موسى الحامد
دكتور بقسم اللغة الفرنسية
جامعة ألبيرتا - كندا

مقدمة

ما دفعني لكتابة هذا البحث هي قصة حدثت مؤخراً في دائرة معارفي: قام شاب - ذو دين وخلق وعلم وجمال ومال - بالتقدم لخطبة فتاة، إلا أنها رفضته معللة ذلك بأنه يتكلم طوال الوقت باللغة العربية الفصحى! هذه القصة دفعتني إلى طرح السؤال الآتي: هل يعتز العرب بلغتهم اعتزاز - على سبيل المثال - الفرنسيين أو الألمان بلغاتهم؟

من المعلوم أن اللغة ليست فقط وسيلة اتصال، بل تعتبر أيضاً وعاء لفكر الأمة وإحدى مقومات وجودها. والأمم الحية تحافظ على لغاتها حفاظها على أوطانها وتعتز بها على اعتبار أنها إحدى ركائز هويتها، بل تقوم بتعزيزها في كافة الميادين وتعمل على ازدهارها واقناع شعوبها بأهميتها والمحافظة عليها والافتخار بها.

فيما يبدو لي أنه يوجد، بشكل عام، أزمة بين لغة الضاد وأبنائها فيما يتعلق بالمشاعر التي يكنون لها، وذلك نظراً إلى أنه يوجد من العرب من لا يعتز بلغته ولا ينزلها المنزلة التي تستحقها، بل منهم من يعتز بمعرفته للغات أخرى، كالإنجليزية أو الفرنسية...إلخ، أكثر من اعتزازه بلغته، وهناك من

يتشدق بكلمات أجنبية يدسها وسط حديثه باللغة العربية ليظهر أنه على قدر من الثقافة والرقي والتقدم. وفي هذا السياق، يقول صالح بن عبدالله بن حميد[1]: "إن الأزمة أزمة عزّة لا أزمة لغة، وأزمة ناطقين لا أزمة كلمات، لم تضعف اللغة ولم تعجز، ولكن ضعف أبناؤها، وقصَّر حماتها، إن من الظلم والحيف أن يتَّهم هؤلاء الأبناء العاقون الكسالى لغتهم من غير حجة ولا برهان، ضعافٌ في أنفسهم، مهازيل في طموحاتهم، يُرهبون أنفسهم بثورة المعلومات، وترتجف قلوبهم لتقدم التقنيات." ويضرب بلال عبدالهادي[2] مثالاً واقعياً يبين فيه كيف أن هناك من العرب من يسخر من لغته: "نحن أمّة تثير السخرية لأننا أمّة تسخر من لغتها. ولقد سمعت بأذنيّ فتاة تقول لزميلتها بشفتين متقززتين: "يااع بْتِقْري عربي؟" وكأن القراءة بالعربية، في هذا الزمن، ضرب من البغاء اللغوي! كيف نعيب من يسخر منّا ونحن، ليل نهار، نسخر من لغتنا، ونفضّل عليها لغات الآخرين؟" ولكن، كيف يمكننا تغيير هذا الواقع؟ وبعبارة أكثر تحديداً، كيف يمكننا تنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى أبنائها؟

---

١. بن حميد، صالح بن عبدالله: الدفاع عن لغة القرآن، خطبة جمعة/ المسجد الحرام، مكة المكرمة، ٢٠٠١.

http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=4418

٢. عبدالهادي، بلال: حكي جرائد: التسويق اللغوي، جريدة الإنشاء، العدد، ٧٠٧١، ٢٠١١.

www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7

سأقوم، في إطار هذا البحث، باقتراح بعض الأساليب التعليمية والمواقف التدريسية التي يمكنها الإسهام في بلوغ الغاية المرجوة؛ حيث إنه لو نجحنا في غرس هذه المشاعر في عقل الطفل العربي منذ نعومة أظفاره – على اعتبار أنه صفحة بيضاء نقية تستقبل وتتقبل ما يرد عليها – فسينشأ، بحول الله وقدرته في الوطن العربي، أفراد يعتزون ويفتخرون بلغتهم، بل ويحبونها ويفضلونها على سائر اللغات الأخرى.

ولتحقيق أهداف هذا البحث، سأعتمد على مرجع أساس، من إعداد الدكتورة "روز- ماري دوغي"[1] التي قامت، في هذا الدراسة، بشكل أساسي بفحص مضمون مناهج مدارس الأقلية الكندية الفرنكوفونية (الكنديون الذين لغتهم الأم اللغة الفرنسية، والذين يشكلون تقريبا، وفق موقع إحصاءات كندا[2]، ما نسبته ٢٢% من إجمالي عدد السكان) وخصوصاً الأسس والخطط التربوية والتعليمية التي تعتمد عليها هذه المدارس بغية جعل أطفالهم يتمسكون ويعتزون بهويتهم اللغوية والثقافية، وذلك لكي يحولوا دون فقدانهم لهويتهم وذوبانهم في محيطهم الإنجليزي الذي يشكل الغالبية العظمى في هذا البلد.

---

١. وهي باحثة في مجال تربية الأطفال في كلية العلوم التربوية بجامعة مانكتون بكندا. والمرجع هو تقرير بحثي أعدته باللغة الفرنسية بعنوان: "الثقافة والهوية اللغوية والشعور بالانتماء" عام ٢٠٠٨. ويقع هذا البحث في ١١٩ صفحة، ويمكن الاطلاع على مادته كاملة في صورة بي دي أف على الرابط الآتي:
http://www8.umoncton.ca/umcm-grpe/wp-content/uploads/2012/02/Identit_version_web21.pdf

٢. موقع إحصاءات كندا Statistique Canada
https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm

أما فيما يتعلق بهذا البحث، فسأحاول الاستناد على بعض من النتائج النظرية والعملية التي توصلت إليها الباحثة المذكورة، بغية اقتراح أساليب وممارسات وتطبيقات تعليمية وتربوية تُمكن معدي المناهج والمعلمين والمربين والمهتمين بشأن اللغة العربية، في العالم العربي، من الاستفادة منها بغية الإسهام في تحقيق الغاية المنشودة. وهنا لا بد من التنويه إلى أنه ليس من الممكن أن أعمم جميع نتائج تلك الدراسة على اعتزاز أبناء العرب بلغتهم في مجتمعاتهم العربية، وذلك نظراً إلى أن صلة أبناء الأقليات بلغتهم تختلف عن صلة أبناء الأكثرية السكانية بلغتهم. لهذا، سأحاول الاستفادة من هذه الخبرات فيما يتناسب مع خصوصية الوطن العربي.

يقسم هذا البحث إلى إطارين: نظري وعملي. في الإطار النظري، سأقوم بعرض بعض الأسس النظرية الرئيسية التي سأرتكز عليها، في الإطار العملي، بغية اقتراح وسائل تعليمية تسهم في بلوغ الغاية المرجوة.

الإطار النظري

كما ذكرت سابقاً، سأقوم، في هذا الإطار، بعرض بعض الأسس النظرية التي سأعتمد عليها لاحقاً في الإطار العملي.

١) الهوية

الهوية مفهوم مستمد من علوم عدة: علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم الفلسفة...إلخ، لذلك فهي مفهوم يتضمن عدة دلالات وله عدة تعريفات. هذه التعريفات تصب في النهاية في دلالات تتعلق بالحقيقة والماهية والذات والوحدة والاندماج والانتماء والتساوي والتشابه. والتعريف الذي اخترته، في هذا البحث، لمفهوم الهوية، وفق روز-ماري دوغي[1]، هو: "الآلية المعرفية والعاطفية التي يتصور الطفل من خلالها نفسه ومحيطه. ويتكون، عن طريق هذه الآلية، بناؤه النفسي والعقلي، الذي

---

١. موقع إحصاءات كندا، Statistique Canada ص١٦
https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm.

يمكِّنُه من إدراك شخصه والعالم المحيط به". وفى مرحلة الطفولة، كما فى المراحل الأخرى من الحياة، تكون الهوية أشبه بالآلية الديناميكية دائمة التكوين. وتتغذى هذه الهوية، التى تحدد علاقة الطفل بمحيطه، من الروابط الاجتماعية التى ينسجها الطفل مع الآخرين. ووقود هذا التفاعل والتواصل هو اللغة.

للهوية مكونان رئيسان: معرفى وعاطفى. أما المكون المعرفى فيتكون من الصورة التى لدى الطفل عن جسمه وشخصه ومن مجموعة المعارف والخبرات المكتسبة التى تبنى شخصيته. وأما المكون العاطفى فهو تقدير الطفل لنفسه. وتكوينه العاطفى يؤثر على القدر الذي يعطيه لنفسه. والإدراك الإيجابى يتغذى بالتأكيد من النجاح الذي يحققه الطفل خلال نشأته.

الهوية ظاهرة فردية وجمعية: الهوية الفردية للطفل تعنى السمات التى تجعله فريداً ومميزاً عن الآخرين (اسمه وتاريخ ميلاده وصفاته...إلخ) والصورة التى يكونها فى ذهنه عن نفسه. بينما الهوية الجمعية فتشمل كل السمات التى يشترك فيها الطفل مع المجموعات التى ينتمى إليها، بمعنى أن كل طفل لديه هويات عدة جمعية على اعتبار أنه عضو ينتمى إلى جماعات عدة فى آن واحد. وفى السياق العربى، فإن الطفل ينتمى، على سبيل المثال، إلى جماعته (قبيلته أو عائلته) ووطنه وأمته العربية وأمته الإسلامية على اعتبار أن معظم العرب مسلمون. وباختصار، فإن مكونات الهوية الجمعية الرئيسية للطفل العربى تشمل، بشكل عام، المكون الدينى والثقافى واللغوي والحضاري والتاريخى والجغرافى.

والجدير بالذكر أن الهوية التى يبنيها الطفل تؤثر على نفسيته وبالآتى على سلوكه. لذلك من المهم أن يتم التركيز على بناء الهوية اللغوية لدى الطفل منذ نعومة أظفاره، حيث إنه إذا زُرِعَ فى نفس الطفل حب لغته، فستنشأ لدينا لاحقا أجيال تعتز بهويتها اللغوية وتعلي من شأنها.

٢) الهوية اللغوية وبناؤها لدى الطفل

الهوية اللغوية للطفل العربي تعني أن لغته الأم هي اللغة العربية، وأنه ينتمي، في آنٍ واحد، إلى بلد عربي وأمة ناطقة بلغة الضاد. وهويته اللغوية تعني أيضاً أن اللغة العربية هي من العناصر المركزية الثابتة التي تُكَوِّنُ هويته الفردية والجمعية، وذلك على اعتبار أن هناك علاقة تلاحم حميمي بين اللغة العربية وهوية الإنسان العربي المسلم. أي أن اللغة العربية ليست فقط مجرد أصوات وألفاظ وتعابير وجمل تستخدم للتواصل والتفاعل والتبادل بين أبناء هذه اللغة، ولكن هي أيضاً الوعاء الذي يحوي ويصون عقيدتهم الدينية وتراثهم وثقافتهم وجميع مكونات هويتهم وخصوصياتهم ...إلخ.

وهناك، وفق روز – ماري دوغي[1]، ثلاثة أنماط تنشيئية مختلفة – ولكن مترابطة فيما بينها – تساهم وتؤثر في بناء وتثبيت الهوية اللغوية لدى الطفل. وهذه الأنماط التنشيئية هي: التنشئة الاجتماعية والاستقلالية والتوعوية:

– **التنشئة الاجتماعية** تتعلق بالطريقة التي يتم من خلالها إيصال اللغة والمعايير والقيم والأدوار في المجتمع. والتنشئة الاجتماعية اللغوية للطفل تنتج من العلاقات التي ينسجها هذا الأخير مع الجماعة اللغوية التي تعيش في محيطه. وهناك عوامل تؤثر في التنشئة اللغوية للطفل: عوامل خارجية

---

١. موقع إحصاءات كندا، ص٢١، Statistique CanadaK K
https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm

كالمؤسسات التعليمية والرفاق ودور العبادة ووسائل الإعلام... وأخرى داخلية تتعلق بالدين والأسرة والوضع الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي للأسرة ... .

– **التنشئة الاستقلالية**: ترتبط التنشئة الاستقلالية للطفل بالقدرة على الضبط الذاتي والعمل المستقل في بيئة ما. والضبط الذاتي هو قدرة الطفل على إدارة عواطفه وسلوكه والمهام التنفيذية والعمليات العقلية، وكذلك قدرته على التوقع والتخطيط والتنفيذ. ودافع الطفل في التصرف بشكل مستقل يكون كبيراً إذا سادت الشروط الآتية:

- أن يسمح له باختيار ما يكتشفه ويتعلمه ويبدعه، وأن يتصرف وفقاً لاختياره.
- أن يكون لديه، في أغلب الأحيان، الفرصة لمواجهة التحديات التي تسمح له بالاكتشاف والتعلم والإبداع.
- أن يكون لديه القدرة على بناء علاقات شخصية إيجابية ذات قيمة مع الأشخاص من حوله.

– **التنشئة التوعوية**: تتضمن القدرة على التكيف مع الواقع وكذلك القدرة على تغييره. وتتكون هوية الطفل اللغوية من التجارب الشخصية التي تسهم في تشكيل وعيه بالعوامل التي تكبح أو تعزز الحيوية اللغوية لدى الجماعة التي ينتمي إليها. ووَصْفُ التنشئة التوعوية هو مستوحى من الأبحاث التي قام بها باولا فرير[1] (١٩٧٤). وهذا الأخير يشير، من جهة، إلى أن الطفلَ قادرٌ على أن يكون واعياً بنفسه وبوجوده، ومن جهة أخرى، أن تنمية الوعي النقدي والبَنّاءِ لديه، تتيح له فرصة التكيف مع واقعه والعمل على تغييره نحو الأفضل.

1 .Freire, P. (1974). Pédagogie des opprimés: suivi de conscientisation et révolution.Paris: Maspero (2006). Pédagogie de l'autonomie: savoirs nécessaires à la pratique éducative. Ramonville Saint-Agne:Érès.

تسهم هذه الأنماط التنشيئية الثلاثة في بناء الكيان اللغوي لدى الطفل. وبعبارة أخرى، فإن بناء هذا الكيان هو نِتاجُ آلية ديناميكية يتم من خلالها تدخل قوى عدة. هذه الأخيرة تؤثر في آن واحد في نفسية الطفل وفي المحيط الذي يعيش فيه.

الإطار العملي

روز – ماري دوغي[1] تقترح **خمسة محددات** رئيسية يمكن الاعتماد عليها بغية اقتراح أسس نظرية ومن ثم **إيجاد تطبيقات تعليمية تهدف إلى** المساهمة بشكل فعال في بناء وتنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى الطفل العربي. وهذه المحددات هي:

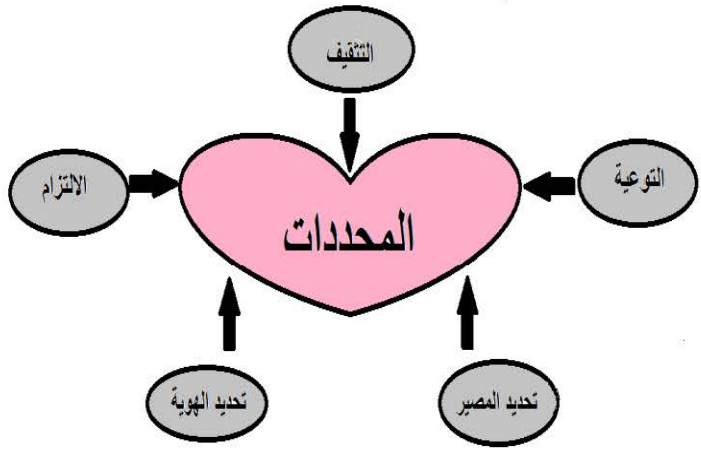

١ . المرجع نفسه.

نظراً إلى أنَّ هذه **المحددات ذات طبيعة ديناميكية وفي تفاعل مستمر، فإنّ الممارسات التعليمية التي سنستوحيها من كل محدد قد تتداخل مع تلك المرتبطة بالمحددات الأخرى**. إلا أن لكل محدد له وظيفة أساسية تختلف عن تلك المتصلة بالمحددات الأخرى. لذلك، سأقوم بعرض كل محدد بشكل منفصل. وبعبارة أكثر دقة، سأقوم، فيما يلي، بوصف مقتضب لكل محدد مبيناً الأسس النظرية المرتبطة به، ووفقاً لهذه الأسس، سأقترح بعض التطبيقات التربوية والتعليمية. وبالتأكيد، سأسعى، في هذا البحث، في المقام الأول، إلى إنشاء أساس متين يُمَكّن لواضعي المناهج والمعلمين والمربين والمهتمين في العالم العربي بالشأن اللغوي الاستناد والبناء عليه بغية المساهمة في تنمية مشاعر الاعتزاز لدى الطفل العربي بلغته.

١) التثقيف

التثقيف هنا، كما يعرفه لوجندر[1]، هو تعلم الطفل للغته ولثقافته. أي: أن الطفل، في الإطار التعليمي على سبيل المثال، وخصوصاً من خلال الأعمال والأنشطة والمشاريع التعليمية الموجهة والهادفة، يستطيع أن يتعلم ويكتشف لغته ومكونات ثقافته. ونظراً إلى تأثير العولمة وانتشار وسائل الإعلام واختلاط الشعوب وتفاعل اللغات والثقافات بعضها ببعض، فإن الطفل أصبح على اتصالٍ، في آن واحد، بلغات وثقافات عدة. لهذا، فإنه إذا لم يُشَبَّعْ بلغته وثقافته، فسيتأثر حتماً بلغات وثقافات أخرى بحيث يمكنها

1. Legendre, R. 2005. Dictionnaire actuel de l'éducation. Montréal: Guérin.

ملء الفراغ الناتج عن هذا الأمر. وبناءً على ذلك، فمن الضروري أن يُشبع الطفل العربي بمكونات ثقافته إلى جانب تعلمه للغته. وفي هذا السياق، فإن الأسس النظرية المتعلقة بالمحدد التثقيفي يمكن إجمالها بالشكل الآتي:

- أن يتعلم الطفل المهارات اللغوية الرئيسية الأربع (الاستماع والكلام والقراءة والكتابة) مع الأخذ بعين الاعتبار أحدث المنهجيات والطرق في تعليم اللغات.
- أن يتعلم الطفل استخدام لغته بشكل صحيح ودقيق.
- أن يعرف الطفل أصل عائلته والأحداث الرئيسية المتعلقة بشعبه وأمته.
- أن يدرك الطفل مكونات ثقافته القديمة والحديثة: العقائد الدينية والتراث الفكري والعلمي للأمة العربية والتاريخ والأخطار المشتركة والمناسبات العربية المشتركة والشخصيات الدينية والوطنية والقومية التي صنعت مجد الأمة والعادات والتقاليد والأناشيد والأغاني الشعبية وأدب الطفل... إلخ.

هذه هي الأسس التي ستؤخذ بعين الاعتبار، فيما يلي، بغية اقتراح بعض التطبيقات التربوية المتعلقة بالمحدد التثقيفي:

◄ عند تعليم اللغة العربية للطفل، يجب أن تُستهدف المهارات اللغوية جميعها (الاستماع والكلام والقراءة والكتابة) خصوصاً المهارة الكلامية، وأن تكون مكونات الثقافة العربية متضمنة في المادة المدرسة بحيث يتعلم الطفل لغته، وفي الوقت نفسه، يكتسب مكونات ثقافته.

◄ على عكس الوسائل التربوية التقليدية التي لا تثير غالباً اهتمام الطفل، يُعتبر اللعب من إحدى أفضل طرق التعليم، لهذا أقترح أن يكون هناك تركيز على هذه الوسيلة في تعليم الطفل العربي للغته ولثقافته، حيث إنه من خلال الألعاب التربوية والتعليمية الهادفة والبناءة - التي تولد لديه شعور المرح والمتعة والتسلية - ينجذب الطفل بشكلٍ لا إرادي إلى لغته، فيهتم بها وبتعلمها، وذلك يجعله محباً لها ومعتزاً بها وبمكونات ثقافته المتضمنة فيها. ولكل عمرٍ ألعابه التي تناسبه ولكل طفل ميوله التي تجذبه. والأمثلة على هذه الألعاب كثيرة، نذكر منها: تشكيل الأحرف بالمعجون يدوياً أو عبر قوالب، تشكيل الكلمات بالأحرف البلاستيكية، تلوين الكلمة وقصها، استخدام المكعبات في بناء مجسمات لرموز ثقافية، بطاقات الأسئلة والأجوبة، إدخال الألعاب التكنولوجية التعليمية الحديثة في حجرة الدراسة كالبرامج والتطبيقات - الموجهة والهادفة - المستخدمة في الحواسيب والأجهزة الذكية والألواح الرقمية، وغيرها. والجدير بالذكر هنا أن العديد من المدارس الكندية أدخلت حديثاً الألواح الرقمية (ما يسمى بـ Ipad/Tablet) إلى حجرة الدرس حيث إنها، وبفضل التطبيقات التعليمية التي تتيحها، أضحت تستخدم كأداة تعليمية ناجعة، في كل المقررات، نظراً لانشداد الطفل الكبير نحوها.

◄ يمكن للطفل، عن طريق الإبداع، التعبير لغوياً وفنياً عن مكونات ثقافته، فيمكنه استخدام صوته لغناء بعض الأناشيد (الدينية أو التراثية أو الشعبية أو الوطنية أو القومية، مثل أغنية طلع البدر علينا) وإلقاء بعض بيوت الشعر أمام زملائه. ويمكنه أيضاً تقليد شخصيات عربية أو إسلامية بارزة

لعبت دوراً هاماً في إبداع ومجد وتقدم الأمة. كما أنه بإمكانه رسم وبناء مجسمات لرموز ثقافية عربية كالكعبة المشرفة والمسجد الأقصى والأهرامات وأبراج بلاد الخليج. ويعتبر المسرح من الوسائل التربوية الهامة التي تسهم في تنمية الطفل لغوياً وثقافياً وعقلياً وفكرياً واجتماعياً ونفسياً، فيمكن لكل صف تنظيم مسرحية ثقافية يتم بوساطتها عرض جانب من جوانب الثقافة العربية.

◄ استخدام وسائل سمعية وبصرية حديثة من أجل عرض مواد هادفة لغوياً وثقافياً كرسوم متحركة أو أفلام تتضمن قصصاً وأحداثاً وحكايات... مقدمة بأسلوب مرحٍ وممتعٍ ومشوقٍ بحيث تشد انتباه الطفل. وبعد ذلك يقوم المعلم بطرح أسئلة على تلاميذه تتعلق بما شاهدوه، ومن ثم يقوم بمحاورتهم بذلك باللغة العربية الفصيحة المبسطة، وعليه أن يلزم تلاميذه باستخدامها معه بشكل صحيح ودقيق. فذلك يسمح للطفل، من جهة، بتعلم كلمات وتعابير لغوية وخبرات ومعارف جديدة مرتبطة بثقافته، ومن جهة أخرى، بتنمية مهارات الاستماع والتفاعل والتعبير الشفوي.

◄ أن تشارك عائلة الطفل في عملية تثقيفه: فيمكن لأحد الأبوين أن يروي لطفله قبل نومه قصة مفيدة ذات مغزى ومعنى باللغة العربية الفصحى من قصص القرآن أو من قصص الصحابة أو من الموروثات الوطنية أو الشعبية. وعلى الأبوين أن يدركا أن طفلهما يتقدم لغوياً بشكل أسرع إذا تكلّما معه باللغة العربية الفصيحة، وأقترح أيضاً أن يقوم الوالدين بصحبة طفلهما إلى أماكن تعزز لديه مكونات ثقافته كالمتاحف والمهرجانات

الثقافية، وغيرها. أضف إلى ذلك، فيمكن للوالدين أن يطلبا من طفلهما أن يقرأ بصوت عالٍ التعليمات وأسماء المحلات والآفتات والشواخص ومكونات المواد الغذائية التي يصادفها.

◄ أن يُطلب من كل تلميذ أن يبحث في أصل أجداده، وذلك يجعله فخوراً بانتمائه ومعتزاً بثقافته وبلغته.

◄ الطلب من الأطفال إعداد لوحات صفية تتناول جوانب الثقافة العربية أو قاعدة لغوية من قواعد اللغة العربية، وذلك لتترسخ مع مرور الوقت في أذهانهم.

◄ أن ينظم كل صف معرض ثقافي بحيث يشمل جميع أركان الثقافة العربية.

◄ إدراج أدب الأطفال المشوق للطفل في المناهج التعليمية.

◄ تنظيم مسابقات لغوية وثقافية.

هذه بعض المقترحات التربوية المرتبطة بالعامل التثقيفي التي يمكنها أن تسهم في تعليم الطفل للغته وبناء وتعزيز مكونات ثقافته لديه. والعامل الثاني الذي يتوجب العمل عليه بغية الوصول إلى الغاية المنشودة هو العامل التوعوي.

٢) التوعية

التوعية هي العملية التي يدرك الشخص من خلالها العوامل التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على أمر ما. ويتحقق وعي الطفل اللغوي والثقافي، كما يذكران

ألارد ولاندري[1]، من خلال قدرته على تحديد ورصد وتحليل، بشكل بناءٍ ونقدي، جميع العوامل التى تؤثر سلباً أو إيجاباً على لغته وثقافته وعلى لغة وثقافة الآخرين. ويُمكّن الوعى النقدي الطفل من أن يرى بنظرة مختلفة قِيمه ومعتقداته، وبالآتى تعميق فهمه للظواهر اللغوية والثقافية. لذلك، فمن الممكن أن تُتاح الفرصة للطفل بأن يفكر فى هويته اللغوية والثقافية وفى انتمائه لأمته العربية، حيث إن مثل هذه الفرص تعينه في تنشئته التوعوية التي تُمكنه من تحليل وفهم وإدراك واقعه اللغوي وكذلك الواقع اللغوي المرتبط بأمته وشعوب العالم. وبغية اقتراح بعض التطبيقات التربوية التى تسهم فى توعية الطفل العربي لغوياً وثقافياً، سأقوم بالارتكاز على الأسس الآتية:

- تنمية شعور التقدير والاحترام لدى الطفل تجاه اللغة والثقافة العربية، وذلك عبر التركيز على عوامل القوة المتعلقة بهما وتلك المرتبطة بالأم العربية.
- توعية الطفل بالتحديات والمخاطر التي تواجه اللغة العربية.
- تعزيز مهارات التفكير والتحليل والحوار لدى الطفل بحيث يصبح قادراً على أن ينتقد، بطريقة بناءة، قيمه ومعتقداته والأحكام المسبقة والصور النمطية التي لديه تجاه لغته وثقافته.
- تحسين قدرته على معرفة وفهم واحترام وتقدير الجماعات اللغوية والثقافية الأخرى الموجودة في مجتمعه وأمته والعالم.

1 . Allard, R., Landry, R. et Deveau, K. (2004). Conscientisation ethnolangagière et comportement engagé en milieu minoritaire. Texte d'une communication présentée au colloque La vitalité des communautés francophones du Canada. Montréal, P. Q.

وبناءً على هذه الأسس، سأقترح، فيما يلى، بعض الأفكار التعليمية الهادفة إلى توعية الطفل لغوياً وثقافياً:

◄على الطفل أن يدرك، بطريقة تتناسب مع عمره، مكانة ودور وأهمية وانتشار وجمال وبلاغة ودقة وثراء... اللغة العربية، بل وقدرتها على استيعاب العلوم والدور الجوهري الذي تلعبه فى تشكيل هوية الإنسان العربى وتوحيد الأمة العربية. فعلى سبيل المثال، فى الإطار المدرسى، من الممكن أن يُطْلب من كل تلميذ أن يقدم شفوياً أمام زملائه مزية من مزايا اللغة العربية. ويستطيع التلاميذ فعل الشيء نفسه فيما يتعلق بجوانب الثقافة العربية والإنجازات التى حققها العرب والجوانب المنيرة لديهم. وبعد ذلك، على المعلم أن يناقشهم بما سمعوه على أن يسمح لهم بتحليله وانتقاده وتبيان وجهة نظرهم تجاهه. ومن ثم، يقوم المعلم بإرشادهم وتوجيههم. وذلك يجعلهم يمارسون لغتهم شفوياً ويقوي ثقتهم بأنفسهم ويعزز من قدرتهم على التفاعل مع أقرانهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الإجراء التعليمى يوعيهم بقدر لغتهم ويُوَلِّدُ بالآتى لديهم صورة إيجابية تجاهها ممّا يجعلهم يعتزون بها.

◄أن يعي الطفل أنه يعيش في بلد عربي وأن بلده هو جزء من الأمة العربية وأن هذه الأمة تتكون من بلدان عدة شعوبها تتكلم اللغة العربية؛ أي أن هذه الأقطار تجمعها عدة جوانب من ضمنها الجانبان اللغوي والثقافي. ومع ذلك، على الطفل أن يدرك أن كل وطن من هذه الأوطان له خصوصيته اللغوية (لهجته العامية) والثقافية وأن في الوطن العربي شعوباً لغتها الأم ليست العربية كالأكراد. ومن الممكن أيضاً أن تُطرح الثقافة الوطنية لكل بلد من منطلق أنها جزء من ثقافة الوطن العربي وأن الخصوصية الثقافية لكل وطن هي إثراء للأمة العربية وثقافتها. وكإجراء تعليمي، يمكن إبراز البلدان العربية والتركيز على الأمور الثقافية التى تجمعها خصوصاً الجانب اللغوي المتمثل باللغة العربية. فذلك من شأنه أن يوعي الطفل بأنه ينتمي إلى أمة عربية كبيرة أقطارها

تتكلم اللغة العربية، مما ينمي لديه شعور الانتماء إلى هذه الأمة وبالآتي اعتزازه بلغتها وثقافتها.

◄ على المناهج أن تُبَصّر الطفل بالتحديات والمخاطر (على الصعيدين العربى والعالمى) التى تواجه اللغة العربية: كتدنى مستوى الأداء اللغوي فى بعض المجالات كالتعليم والإعلام وهيمنة بعض اللغات العالمية (كالإنجليزية والفرنسية) فى بعض البلدان العربية والفجوة بين لغة الضاد والمعرفة ومزاحمة العاميات الدارجة للعربية فى بعض المجالات وتدريس العلوم باللغات الأجنبية فى معظم الجامعات العربية وغيرها. وفى هذا الصدد، من الممكن، على سبيل المثال، للمعلم أن يطرح على تلاميذه السؤال الآتى: هل من الضروري على الإنسان العربى أن يُجيدَ اللغة العربية الفصحى ويستخدمها فى جميع المجالات؟ وبعد ذلك يفسح لهم المجال ليفكروا ويعربوا عن آرائهم ومعتقداتهم والأحكام المسبقة والصور النمطية التى لديهم تجاه لغتهم، ومن ثمّ يناقشهم ويحاورهم فى ذلك. وفى نهاية المطاف يقوم المعلم بإرشادهم وتصحيح أفكارهم المغلوطة وتوجيههم نحو السلوك الذي يتوجب على الفرد العربى تبنيه تجاه لغته.

◄ من الممكن، من جانب، أن نبين للطفل أن للآخرين أيضاً لغتهم وثقافتهم ودينهم، ومن جانب آخر، أن ننمى لديه حب الاكتشاف وقبول الاختلاف مع الآخرين والتسامح والانفتاح عليهم. أي على الطفل أن يدرك أن عليه الاعتزاز بأصله وانتمائه ولغته وثقافته وفرض احترام الآخرين له ولمعتقداته، كما أن عليه تقبل الآخرين واحترام لغاتهم ومكونات ثقافتهم (وذلك وفق قول الله عز وجل: {لَكُم دِينُكُم وَلِيَ دِين} (سورة الكافرون، ٦). ولكى ندرب الطفل على ذلك، من الممكن أن نطلب منه: أن يضع نفسه مكان الآخرين لكى يدرك ما يشعرون به أو أن يبحث عن الفرق بين العرب وأمة أخرى فيما يتعلق بنمط من أنماط الحياة أو أن يكون فى المناهج ما يجعله يطّلع على خصوصيّة الشّعوب الأخرى أو أن تُدرج فيها صورٌ

لأطفال من بلاد أجنبية، ومن ثم يُسأل الطفل عن مكان وجود هذه البلدان وعن اللغات التي تتحدثها شعوبها. كل ذلك يسهل من تكوين وعيه باختلاف الآخرين عنه وبالآتي يجعله يدرك أنه مختلف لغوياً وثقافياً عنهم ويدفعه إلى احترام لغاتهم وثقافاتهم، وفي الوقت نفسه، يزيد لديه رغبته بالاندماج مع مجموعته وشعوره بالانتماء إلى وطنه وأمته وتقديره لثقافته وبالآتي اعتزازه بلغته.

٣) تحديد الهوية

علاوة على التثقيف والتوعية، فمن الممكن أيضاً إعانة الطفل على تحديد هويته وخاصة انتمائه إلى لغته. وتحديد الهوية، بحسب لوجندر[١]، هو العملية التي يتبنى الطفل من خلالها خصائص مجموعته اللغوية والثقافية بحيث يتطابق معها بشكل جزئي أو كلي. حيث إن، كما تذكر غوز - ماري دوغي[٢]، "كون الفرد جزءٌ من مجموعة لغوية وثقافية فإن ذلك لا يُولّد لديه تلقائياً شعور الولاء أو الانتماء إلى هذه المجموعة." وفي هذا السياق يضرب محمود حافظ[٣] المثال الآتي: "إن في مصر ٢٥٠ مدرسة أجنبية تُعلّم

---

1. Allard, R., Landry, R. et Deveau, K. (2004). Conscientisation ethnolangagière et comportement engagé en milieu minoritaire. Texte d'une communication présentée au colloque La vitalité des communautés francophones du Canada. Montréal, P. Q.

٢. المرجع نفسه، ص ٢٣.

٣. محمود حافظ (١٩١٢ - ٢٠١١) تولى رئاسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١١، وهو أول مصري يحصل على شهادات الدكتوراه في علم الحشرات، وثاني مصري يجمع بين رئاسة مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي بعد عميد الأدب العربي طه حسين. توفي حافظ عام ٢٠١١ بعد مرور أسبوع واحد من حريق المجمع العلمي إثر احتجاجات شهدتها القاهرة في نفس العام.

علومها فى غياب اللغة العربية تماماً، إضافة إلى جامعات أجنبية، وهذا الأمر سيؤدي بعد جيل أو جيلين إلى وجود طبقة اجتماعية لا تنتمى إلى مصر ولا إلى اللغة العربية، بل تنتمى إلى لغات أجنبية وإلى بلدان تلك اللغات."[1] وبناءً على ما سبق، فسأقترح، فيما يلى، بعضاً من الأسس التى من الممكن الاستناد عليها بغية إعانة الطفل على تحديد كيانه اللغوي:

- عرض نماذج لأمم تعتز بلغاتها.
- إظهار قيمة وأهمية ومكانة اللغة العربية.
- إبراز العلاقة الوطيدة التي تربط اللغة العربية بالدين الإسلامي.
- عرض بعض الأقوال التي تعلي من شأن اللغة العربية.
- تبيان المزايا المتعلقة بكون الفرد ناطق باللغة العربية.
- تنمية مشاعر الافتخار بالانتماء إلى الثقافة واللغة العربية.
- تنمية مشاعر التضامن مع الأمة العربية.

وفيما يلي، سنقوم باقتراح بعض التطبيقات التعليمية المتعلقة بهذا المحدد:

---

١ . مقتبس من الغامدي، ماجد جعفر: الهوية والقيم..موت اللغة العربية نموذجاً-٢، موقع: اللغة العربية صاحبة الجلالة، ٢٠١٠.

http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=1960

◄ إدراج حقائق معاصرة في المناهج توضح كيف أنّ الأمم القوية والحية تعتزّ بلغاتها وتحافظ عليها حفاظها على أوطانها وتستخدمها في كافة المجالات. والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

*النموذج الإسرائيلي: قيام اليهود الصهاينة بإحياء لغة ميتة حيث إنهم جعلوها لغة رسمية تستخدم في كافة الميادين، حتى في تعليم العلوم لا سيما التخصصات الجامعية الدقيقة. أضف إلى ذلك، فإن الساسة الإسرائيليين لا يتحدثون في المحافل الدولية إلا باللغة العبرية اعتزازاً وافتخاراً بها...إلخ.

*النموذج الفرنسي: اعتزازاً منه بلغته وادراكاً منه لحقيقة أنّها تشكل جزءاً من كيانه وكرامة شعبه، قام الرئيس الفرنسي السابق، جاك شيراك ذات مرة، عندما كان رئيساً للجمهورية الفرنسية، بمغادرة قاعة اجتماع القمة الأوروبية غاضباً إثر سماعه مواطنه الفرنسي -رئيس لوبي الأعمال الأوروبية- يلقي كلمته بالإنكليزية[1].

◄ نظراً إلى أن الغالبية العظمى من العرب هم مسلمون وأن هناك ارتباط وثيق بين الدين الإسلامى الحنيف واللغة العربية - على اعتبار أنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - وأن الإسلام له أثر فاعل فى تشكيل الهوية الثقافية للأمة العربية، فيمكن للمناهج أن تشدد على أن لهذه اللغة قدسية ورمزية بالنسبة لكل مسلم، وأنّ معرفتها ضرورية لممارسة هذا الدين ولفهمه فهماً

---

١. للمزيد من المعلومات المتعلقة بالنموذج الفرنسي، يمكن الاطلاع على سفيان موسى الحامد: فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها، المؤتمر الدولي بعنوان اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس (القسم الثاني)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١٢.

صحيحاً من مصدره، بل عليها أن تبين كيف أنّ الله – عزّ وجلّ – قد شرّفها في القرآن الكريم حيث ذكرها أحد عشر مرة، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾{الزمر:٢٨}،﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا...﴾{الرعد:٣٧}،﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ {الشعراء:١٩٥}. هكذا، فمن الممكن أن نقود الطفل العربي المسلم إلى أن يدرك أنّ علاقته مع اللغة العربية هي علاقة روحية وأن المحافظة عليها بمثابة المحافظة على الدين بعقائده وتشريعاته، بل على الطفل أن يسلّم بأن الاعتزاز بهذه اللغة هو جزء مهم من الاعتزاز بهذا الدين نظراً إلى الارتباط الوثيق والمتلازم بينهما. ويصف الثعالبي[1]، في مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية)، هذه العلاقة الحميمة بهذه العبارات: "من أحبّ الله تعالى أحبّ رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحبّ الرّسول العربي أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب كتاب القرآن الكريم{...}، ومن أحبّ العربية عُني بها وثابر عليها، وصرف همّته إليها، ومن هداه الله للإسلام{...}اعتقد أن{...} العربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهّمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدّين، وسبب صلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار... ."

◄ يمكن للمناهج أن تتناول، بغية جعل الطفل يزداد انتماءً إلى لغته واعتزازاً وتعلقا بها، بعضاً من الأقوال التي تُعلي من شأنها وعظمتها، كأقوال

---

١. الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، (المقدمة)، تحقيق: السقا والإبياري وشلبي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨.

الصحابة والسلف والعلماء والأدباء والمستشرقين ونحوهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر:

* قول الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "عليكم بالفقه في الدين وحسن العبادة، والتفهم في العربية. وقال: تعلموا العربية فإنها تثبت العقول وتزيد في المروءة."[1] وقول الفاروق أيضاً: "تعلّموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم ."[2]

* قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "اللغةُ العربيةُ من الدين، ومعرفتُها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغِة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب."[3]

* قول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمالَ هذه اللغة ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغف، حتى

---

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد: تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق أحمد شودان، الطائف، مكتبة المؤيدة (د.ت(، ص٢٢٥.

٢. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٩٨٩.

٣. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة (د. ت) ابن تيمية، ص٢٠٧.

إن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد{صلى الله عليه وسلم}."[1]

◄من الممكن أن نسلط الضوء على المكانة التي تبوأتها اللغة العربية في التاريخ؛ حيث إنها كانت عالمياً، ولمدة عشرة قرون، لغة الدين والعلم والحضارة. لذلك، كان أبناء الأمم الأخرى يتسابقون إلى تعلمها، بل منهم من نبغ فيها وشارك على نحو مدهش في وضع قواعدها وجمع معاجمها. وإن نظرة سريعة للتراث المعرفي العربي والإسلامي والعالمي لتبين لنا عمق الدور الذي قامت به لغة الضاد في حمل جزء مهم من الحضارة الإنسانية. بل إنّ التمعن في تنوع مؤلفات الكتاب والشعراء والأدباء والعلماء العرب ليوحي بمدى إسهام العرب في ذلك. حتى إن لغة القرآن هي اللغة الرسمية السادسة في الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية...إلخ.

هذه بعض الاقتراحات التي إذا طرحت بشكل مناسب لسن الطفل واستيعابه العقلي، فإنه لا يزداد إلا فخراً بلغته وبالآتي انتماءً إليها. فبعد التثقيف والتوعية وتحديد الهوية، على المناهج أن تعلم الطفل كيفية أخذ القرارات المتعلقة بالجانب اللغوي والثقافي.

٤) تقرير المصير

تقرير المصير، كما يعرفه لوجندر[1]، هو العملية التي يكتسب الطفل من خلالها القدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها وتحقيق تطلعاته واحتياجاته

---

١. الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص٣٠٦.

الخاصة دون الاعتماد الزائد على الآخرين. وهذه القدرة تُنمى لدى الطفل، بحسب ديسي وريان[٢]، من خلال إشباع ثلاث حاجات أساسية: حاجة الاستقلالية والكفاءة والانتماء. فإذا عملنا على إشباع هذه الحاجات لدى الطفل، فإن ذلك يعزز من قدرته على اتخاذ القرارات. وبعبارة أخرى، إذا تُرك أمام الطفل خيارات عدة متعلقة بحاجاته، فإنّ ذلك يسهم في تدريبه على تقرير مصيره. وكلما رضي الطفل - إدراكياً وعاطفياً - عن قراراته، فإنّ ذلك ينمي شعور الكفاءة لديه ويجعله أكثر ثقة واستقلالية عندما يتعلق الأمر بتقرير مصيره في جانب من جوانب حياته.

هكذا، فبعد تثقيف وتوعية ومساعدة الطفل في تحديد هويته، علينا التركيز على تنمية قدرته على اتخاذ قرارات إيجابية تجاه لغته. ولبلوغ هذه الغاية، يمكن، وفقاً لروز ماري دوغي[٣]، الاعتماد على الأسس الآتية:

- أن نوعي الطفل بأنه فريد ومختلف عن الآخرين لغوياً وثقافياً.
- أن نحدّث إمكانات ومواهب الطفل في الأنشطة اللغوية والثقافية.
- أن نجعل الطفل يؤكد هويته اللغوية والثقافية وعلى مسؤوليته عن أفعاله.
- أن نتيح المجال للطفل أن يتخذ قرارات لغوية وثقافية وأن يتحمّل

---

١. الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص٣٠٦.

2. Déci, E. et Ryan, R. (1985). Intrinsic motivation and self-determination in human behavior. New York : Plenum Press.

٣. المرجع نفسه، ص٣١.

العواقب المرتبطة بذلك.

- أن نسمح للطفل أن يتخذ مواقف في المسائل اللغوية والثقافية.

نلاحظ أن عامل تقرير المصير يرتبط بشكل وثيق بعوامل التثقيف والتوعية وتحديد الهوية التي تناولته سابقاً، وهذه العوامل الثلاثة تؤثر بشكل كبير في عملية اتخاذ الطفل لقرارات تتعلق بلغته، حيث إن نوعية هذه القرارات تعتمد إلى حد كبير على نوعية التثقيف والتوعية وتحديد الهوية التي تلقاها ويتلقاها الطفل. ومع ذلك، فمن الممكن التركيز على تنمية قدرة الطفل في تقرير مصيره اللغوي، وذلك عبر إتاحة الفرصة له بتبني مواقف لغوية تتناسب مع ثقافته ووعيه وهويته. وعلى الطفل أن يدرك أن عليه، قبل اتخاذ أي قرار، أن يفكر في العواقب الناجمة عن اختياره ويحسب لكل خيار حسناته وسيئاته، وعلى ضوء ذلك يتخذ موقفه. والجدير بالذكر أن هذه الاستقلالية تسهم في بناء الحس النقدي لدى الطفل وتجعله يحدد معتقداته ويعبر عن آرائه ومشاعره وأفكاره فيما يخص لغته وثقافته. والأساليب التعليمية التي تساعد في بلوغ هذه الغاية كثيرة، فمن الممكن أن يُقدم للطفل- بشكل خاص - بعض المواقف أو القضايا اللغوية، وأن يطلب منه بعد ذلك أن يتخذ قراراً إيجابياً محدداً تجاه كل موقف، مبينا العلة المرتبطة بقراره. ونكتفي بذكر أربعة أمثلة من هذه المواقف:

◄ **الموقف الأول**: يذكر بلال عبد الهادي[1]: "نحن أمّة تثير السخرية لأننا أمّة تسخر من لغتها. ولقد سمعت بأذنيّ فتاة تقول لزميلتها بشفتين متقززتين: "يااع بْتِقْري عربي؟" وكأن القراءة بالعربية، في هذا الزمن، ضرب من البغاء اللغوي!" فبعد قراءة الطفل لهذا الموقف، يمكن أن يُطلب منه: أن يبدي رأيه تجاه ذلك أو أن يكتب رسالة افتراضية – للفتاة التي قالت هذه العبارة – يعرب فيها عن وجهة نظره حيال ما قالته أو أن يضع نفسه مكان الفتاة – التي قيلت لها هذه الجملة – بحيث يقوم بالرد بشكل مناسب على قائلة هذه العبارة...إلخ.

◄ **الموقف الثاني**: روت سرى سبع العيش[2]، هذه القصة: "{...} تذكرت أنني قبل ستة عشر عاماً عندما ذهبت لشيكاغو لحضور المؤتمر المئوي للأكاديمية الأمريكية لطب العيون، وقابلت السيد بنجامين بويد، رئيس تحرير مجلة إضاءات في طب وجراحة العيون {....التي} تصدر بسبع لغات إضافة للأصل الإنجليزي، فاقترحت عليه أن تصدر المجلة باللغة العربية أيضا لأننا عرباً نفضل ذلك، نظر إلي وشهق وقال لي حينها: سيدتي هذا مفاجئ لي، لأنني أعرف كثيراً من أطباء العيون العرب وبعضهم أصدقاء لي، ولم يسبق أن اقترح أحد منهم أن تصدر المجلة باللغة العربية، وأنا أرحب

---

١. عبدالهادي، بلال: حكي جرائد: التسويق اللغوي، جريدة الإنشاء، العدد، ٧٠٧١، ٢٠١١.
www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7

٢. سبع العيش، سرى: مرحى.. اللغة التركية والطربوش التركي، مقال صدر في صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ ١٠-٣-٢٠١٤.

بذلك، نعم لم لا تصدر بالعربية..؟ وزيادة على إصراري وتشجيعي له قلت إن جمعية تعريب العلوم الطبية في الأردن، وحيث كنت رئيستها في ذلك الوقت، ستقوم بترجمة النشرة للعربية مجاناً في السنة الأولى، ففي الترجمة إعزاز للغة العربية. ولكن بعد شهر من المراسلة أخبرني بأن رئيس المجلس العربي لطب العيون في ذلك الوقت مر عليه وعندما أخبره بلقائي به واقتراحي بإخراج طبعة عربية للمجلة وعرض عليه الفكرة، أقنعه بأن ذلك غير ضروري، لأن الأطباء العرب يفضلون اللغة الإنجليزية.. ولن يقرؤوا الطبعة العربية إذا أنجزت، وأن العربية لا تصلح لغة للطب..!". ومن الأسئلة التي يمكن أن تطرح حول هذه القصة بغية تدريب الطفل على تقرير مصيره اللغوي: ما ردة فعلك تجاه تصرف كل من هذين الطبيبين العربيين تجاه اللغة العربية؟ لو طُلب منك أن تتبنى موقفاً من بين هذين الموقفين، فأيهما ستختار؟ ولماذا؟ هل تؤيد ما قيل في نهاية هذه القصة: "العربية لا تصلح لغة للطب؟"

◄ **الموقف الثالث**: كتب ربيعة الكواري[1]: "اللغة العربية من اللغات العالمية الرسمية داخل مبنى منظمة الأمم المتحدة في مدينة نيويورك الأميركية بجانب اللغات الآتية وهي: - اللغة الإنجليزية - اللغة الفرنسية - اللغة الإسبانية - اللغة الروسية - اللغة الصينية. ولكن يتردد منذ فترة أن النية تتجه

---

١. الكواري، ربيعة: لماذا تُهمّش اللغة العربية في المدارس الأجنبية رغم أنها لغة الدولة الرسمية؟! مقال صدر في جريدة الشرق القطرية، تاريخ ٢٠٠٩/١١/٢.
http://www.qataru.com/vb/archive/index.php/t-109766.html

نحو إلغاء اللغة العربية من بين اللغات العالمية الرسمية داخل منظمة الأمم المتحدة الدولية وذلك لأسباب عدة منها:

أولاً: عدم استخدام ممثلي "الدول العربية" اللغة العربية في الأمم المتحدة، لكونهم دائما ما يستعملون اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية.

ثانياً: عدم وجود مترجمين عرب على قدر من الكفاءة يجيدون اللغة العربية.

ثالثاً: عدم وفاء أغلب البلدان العربية بالتزاماتها المتعلّقة بدفع نفقات استعمال العربية داخل منظمة الأمم المتحدة."

والأسئلة التى يمكن أن تطرح على التلاميذ حول هذا الموقف كثيرة، نذكر منها: لو كنت ممثلاً لدولة عربية فى الأمم المتحدة وكنت تجيد على الأقل إحدى لغات هذه المنظمة بالإضافة إلى اللغة العربية، فأيّ لغة سوف تستخدم فى عملك فى هذه المنظمة؟ ولماذا؟ وهل ترى أنه من الضروري أن تبقى العربية لغة رسمية نابضة لها كينونتها فى هذه المنظمة؟ علل إجابتك؟ ولو كنت مسؤولاً عربياً، فهل ستحث حكومتك على أن تفى بالتزاماتها المالية المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية داخل هذه المنظمة؟ ولماذا؟

◄ **الموقف الرابع**: كثير من العرب اتجهت أنظارهم نحو التعليم الأجنبى والهدف هو حصول الطالب على مستوى عال من اللغة الإنجليزية ودراسة المواد العلمية وخاصة الرياضيات والعلوم باللغة الإنجليزية. والسبب الرئيسى هو الصعوبات الكثيرة التى تواجه الطلاب أثناء الدراسة فى الخارج. وقد يختار بعض الآباء إلحاق أبنائه بمدارس داخلية فى الخارج رغبة منهم فى نوع مميز من التعليم يرافقه تنمية للمهارات الحياتية والفكرية التى تفتقدها استراتيجيات التعليم فى مناهجنا ومدارسنا. والبعض الآخر قد يتوجه نحو التعليم في المدارس العالمية داخل الوطن التي تتبنى التوجه العلمي نفسه في

الخارج. والأسئلة التي يمكن أن تطرح حول هذا الواقع: ما رأيك بالإنسان العربي الذي يلحق أبناءه بمدرسة أجنبية؟ ولو أراد والدك أن يلحقك بمدرسة أجنبية، فماذا ستكون ردة فعلك وشعورك تجاه ذلك؟ وهل ستفعل الشيء ذاته مستقبلاً مع أبنائك؟

هذه بعض من الأمثلة التي تتيح للطفل أن يتخذ قرارات ذات طابع لغوي. وهذا الأمر يجعله يدرك أن رأيه فيما يتعلق بلغته مهم؛ مما قد يشعره بأنه مسؤول عنها وحام لها، وبالآتي تنشأ على الأغلب علاقة إيجابية بينه وبينها. وهذه العلاقة الإيجابية تعتمد، كما ذكرت سابقاً، على نوعية التثقيف والتوعية وتحديد الهوية التي تلقاها - ويتلقاها - الطفل. وبهذه الطريقة، سيكون الطفل أكثر حرصاً على الالتزام بقرارات لغوية كان هو جزءاً من عملية اتخاذها.

٥) الالتزام

الالتزام، كما يعرفاه فرير و ألارد[1]، هو العملية التي تقود إلى العمل. والمقصود بالعمل هنا: تحديد الأهداف وصياغة النوايا والسلوك ووضع الخطط والتصرف كمواطن مسؤول فيما يتعلق بقضايا اللغة والثقافة. وانخراط الطفل في العمل اللغوي يعتمد على مدى فهمه للعوامل التي تؤثر على واقعه اللغوي والثقافي. ولا يلتزم الطفل لغوياً وثقافياً إلا عندما يتبنى معتقدات تحثه

1 . Ferrer, C. et Allard, R. 2002. La pédagogie de la conscientisation et de l'engagement: pour une éducation à la citoyenneté démocratique dans une perspective planétaire. Première partie: Portrait de la réalité sociale et importance d'une éducation à la conscientisation critique et à l'engagement. Éducation et francophonie, 30(2).
http://www.acelf.ca/revue/30-2/articles/04-ferrer-1.html

على إعلاء لغة وثقافة المجموعة التي ينتمي إليها. وآلية الالتزام مرتبطة بشكل وثيق بعامل التوعية، لأن الوعي بأمر ما يتبعه غالباً التزام به.

ولتوجيه الطفل العربي نحو الالتزام تجاه لغته، أقترح أن ندعوه إلى وضع أهداف وإعداد خطط والانخراط في مشاريع من شأنها أن تعيد للغة الضاد مكانتها وهيبتها على كافة المستويات. ويُنمى سلوك الالتزام لدى الطفل بالموازاة مع تنمية وعيه النقدي بعلاقات القوة الإيجابية أو السلبية المرتبطة بمجموعته اللغوية والثقافية. وفي هذا السياق تذكر روز - ماري دوغي[1] أن هناك ثلاث درجات من الالتزام تجاه اللغة والثقافة: إبراز القيمة والتأكيد والمطالبة. ووفقاً لهذه النقاط الثلاث، فإنها تقترح بعض الأسس التي يمكن الاعتماد عليها بغية جعل الطفل يلتزم تجاه لغته وثقافته:

- يعطي، من خلال إجراءات ملموسة، قيمةً للغته وثقافته.
- يؤكد على هويته اللغوية والثقافية في مختلف السياقات.
- يحدد أهدافاً ويشارك في مشاريع ترمي إلى تغيير الواقع اللغوي لأمته.
- يضع وينفذ استراتيجيات محددة تهدف إلى إصلاح الوضع اللغوي لأمته.
- يطالب باستعادة الحقوق اللغوية لأمته

١. المرجع نفسه، ص٣٢.

عديدة هي الممارسات التعليمية التي يمكن لمناهج اللغة العربية اعتمادها بغية غرس شعور الالتزام لدى الطفل تجاه لغته، وأقترح منها ما يلي:

◄ بعد توعية الطفل بالأخطار والتحديات والتهديدات التي تواجه اللغة العربية على الصعيدين الداخلي والخارجي، يمكننا أن نطلب منه أن يتناول بعضاً من هذه الإشكاليات بحيث يضع خططاً ومشاريع لمواجهتها ويقترح استراتيجيات وحلولاً للتصدي لها. ويمكن حثه أيضاً على أن ينقل إلى أفراد محيطه الحلول التي وجدها للمخاطر التي تعصف بلغته بحيث يشارك في زيادة وعيهم اللغوي.

◄ أقترح أن تُقدم للطفل خبرات سابقة لأشخاص ضربوا - أو يضربون- أمثلة في الالتزام تجاه لغاتهم، وأن تطلب منه بعد ذلك الاستناد عليها من أجل إبداع أفكار جديدة واقتراح أفعال ملموسة وتبني تصرفات واقعية بغية النهوض باللغة العربية ونصرتها وإعلاء شأنها ومكانتها. والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن سأكتفي هنا بعرض مثالٍ واقعيٍ ملموسٍ يبين كيفية التزام الأشخاص تجاه لغتهم، وهذا المثال متعلق بعائلة جزائرية (تقطن معنا في كندا): وعلى الرغم من أن جميع أفرادها يجيدون اللغة الفرنسية والإنجليزية وأن المحيط العام ناطق بالإنجليزية وأن أبناءها ملتحقون بمدارس فرنسية، إلا أن جميع أفراد هذه العائلة ملتزمون، رغم العوائق المحيطة بهم، بالتحدث فيما بينهم، طوال الوقت، باللغة العربية الفصحى فخراً واعتزازاً بها ووعياً دينياً

بأهميتها بالنسبة لهوية الإنسان العربي المسلم. والالتزام اللغوي لهذه العائلة اللغوية أضحى مثالاً يحتذى به بالنسبة لعائلات أخرى.

◄ يمكن تنظيم مناقشات صفية حول الأسئلة الآتية: ما هي حقوق اللغة العربية على كل إنسان عربي؟ أو ما هي واجبات العرب تجاه لغتهم؟ وما دور الطفل العربي في نهضة ونصرة لغته؟ فيمكن، على سبيل المثال، للمعلم، قبل ذلك، أن يطلب من تلاميذه أن يحضروا هذه المواضيع في البيت بمشاركة الأسرة بحيث يبحثوا عن أفكار وأمثلة واقتراحات...إلخ، ومن ثم يأتوا إلى حجرة الدرس لمناقشة هذه المواضيع مع أقرانهم، وذلك من شأنه أن يزيد من وعيهم والتزامهم تجاه لغتهم.

هذه بعض المقترحات التي يمكننا البناء عليها من أجل بث روح الالتزام لدى الطفل تجاه لغته. وهناك علاقة وثيقة بين الالتزام والاعتزاز، أي أن الالتزام يولد اعتزازاً والاعتزاز يحث على الالتزام. وأعتقد أن اعتزاز الطفل بلغته ليس كافياً، ولكن عليه أيضاً أن يتعلم كيفية توجيه طاقاته بشكل جدي نحو تغيير واقعها نحو الأفضل. وهذا الالتزام من شأنه أن يجعل الطفل العربي، في المستقبل، مفكراً لغوياً، بل سياسياً لغويا يرسم الخطط الهادفة والوجيهة ويطبقها بغية الإسهام في إعلاء مكانة لغته، حتى ولو اقتصر ذلك على محيطه.

وقبل أن أختم، أود إجمال الأفكار الرئيسية التي وردت في هذا البحث بالرسم الآتي:

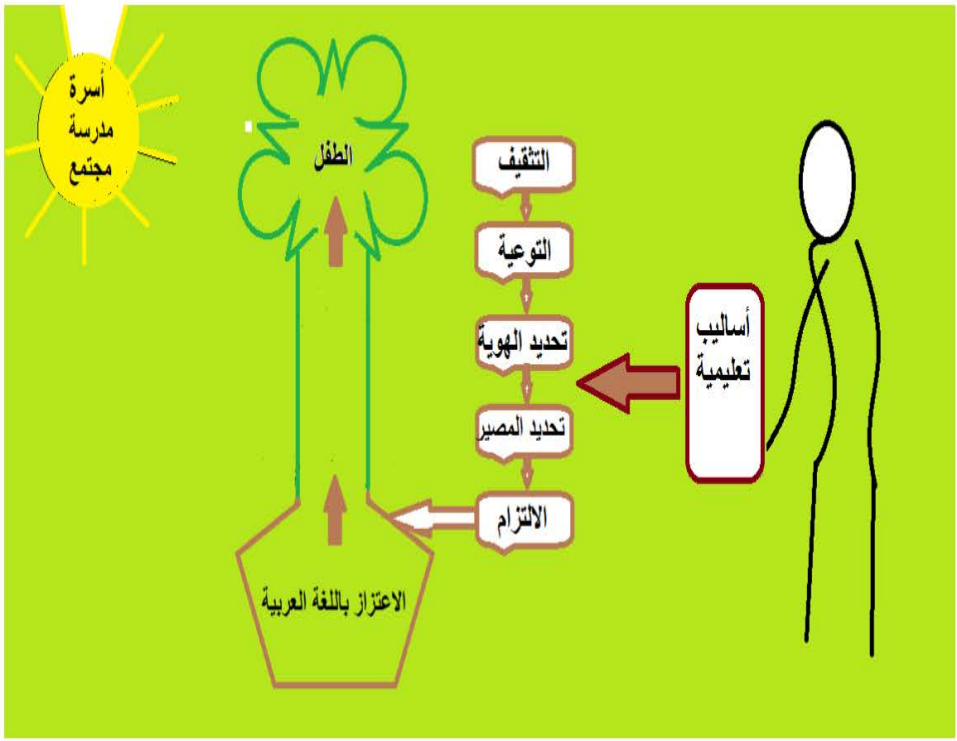

الخاتمة

نظراً إلى أن هناك أزمة حقيقية بين لغة الضاد وأبنائها فيما يتعلق بمشاعر اعتزازهم بها، وحرصاً منى على جعل العرب بارين بلغتهم الأم وبالآتى حامين وناصرين لها، قمت، فى إطار هذا البحث، باقتراح أساليب تعليمية يمكنها المساهمة فى غرس مشاعر الاعتزاز لدى الأطفال العرب – منذ نعومة أظفارهم – بلغتهم.

ولتحقيق أهداف هذا البحث، قمت بعرض بعض الأسس النظرية التى اعتمدت عليها لاحقاً بغية اقتراح تطبيقات عملية تسهم فى بلوغ الغاية المرجوة، حيث ارتكزت بشكل رئيسى على خمسة محددات نظرية: التثقيف والتوعية وتحديد الهوية وتحديد المصير والالتزام. ونظراً إلى أن لكل محدد وظيفة أساسية تختلف عن تلك المرتبطة بالمحددات الأخرى، قمت بتناول كل واحد منها على حدة. وبعبارة أكثر دقة، قمت بوصف مقتضب لكل محدد مبيناً الأساس النظري المرتبط به، ووفقاً لذلك، اقترحت بعض التطبيقات التربوية والتعليمية لبلوغ أهداف هذه الدراسة. ولاحظت أن بعض هذه الممارسات التعليمية قد تداخلت فيما بينها، وذلك لأن المحددات ذات طبيعة ديناميكية وفى تفاعل مستمر.

وفى النهاية، أود التنويه إلى أن الهدف الأساسى من هذه الإسهامة المتواضعة هو إنشاء أرضية تُمكّن لواضعى المناهج والمعلمين والمربين والآباء والمهتمين بشأن اللغة العربية، فى العالم العربى، الاستفادة منها والارتكاز والبناء عليها بغية العمل على بلوغ الهدف المنشود. ومن باب غيرتى على لغة القرآن الكريم والتزامى نحوها، فإنى أُهيب بنفسى، من جهة، وبالباحثين، من جهة أخرى، الاستمرار فى عمل مزيد من البحوث التى تسهم فى تطوير مكانة لغة الضاد لدى أبنائها. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يمكننا تطبيق الأفكار الواردة فى هذه الدراسة على أرض الواقع، بحيث لا تبقى حبراً على ورق؟!

وهذا أقل شيء يمكننا فعله - من أجل **الالتزام** - تجاه لسان القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

أ) المصادر العربية

- القرآن الكريم.

- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٩٨٩.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة (د.ت).

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد: تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شودان، الطائف، مكتبة المؤيدة (د.ت).

- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، (المقدمة)، تحقيق: السقا والإبياري وشلبي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨.

- الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.

- الحامد، سفيان: فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها، المؤتمر الدولي بعنوان اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس (القسم الثاني)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١٢.

- الغامدي، ماجد جعفر: الهوية والقيم. موت اللغة العربية نموذجاً -٢، موقع: اللغة العربية صاحبة الجلالة، ٢٠١٠.

http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=1960

- الكواري، ربيعة: لماذا تُهمّش اللغة العربية في المدارس الأجنبية رغم أنها لغة الدولة الرسمية؟! مقال صدر في جريدة الشرق القطرية، تاريخ ٢-١١-٢٠٠٩.

http://www.qataru.com/vb/archive/index.php/t-109766.html

- بن حميد، صالح بن عبدالله: الدفاع عن لغة القرآن، خطبة جمعة/ المسجد الحرام، مكة المكرمة، ٢٠٠١.

http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=4418

- سبع العيش، سرى: مرحى.. اللغة التركية والطربوش التركي، مقال صدر في صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ ١٠-٣-٢٠١٤.

- صدار، نور الدين: دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة.

http://conferences.ju.edu.jo/sites/Alin/Research/نور%20صدار٢٠%الدين.pdf

- عبدالهادي، بلال: حكي جرائد: التسويق اللغوي، جريدة الإنشاء، العدد، ٧٠٧١، ٢٠١١.

www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7

ب) المصادر الأجنبية

-Allard, R., Landry, R. et Deveau, K. (2004). Conscientisation ethnolangagière et comportement engagé en milieu minoritaire. Texte d'une communication présentée au colloque La vitalité des communautés francophones du Canada. Montréal, P. Q.

-Déci, E. et Ryan, R. (1985). Intrinsic motivation and self-determination in human behavior. New York : Plenum Press.

-Duguay Rose-Marie, 2008, Identité culturelle, identité linguistique et sentiment d'appartenance: pillagers de l'apprentissage chez les jeunes enfants en service de garde. Rapport de recherche, Université de Moncton.

-Freire, P. (1974). Pédagogie des opprimés : suivi de conscientisation et révolution. Paris : Maspero ; (2006). Pédagogie de l'autonomie : savoirs nécessaires à la pratique éducative. Ramonville Saint-Agne : Érès.

-Ferrer, C. et Allard, R. 2002. La pédagogie de la conscientisation et de l'engagement : pour une éducation à la citoyenneté démocratique dans une perspective planétaire. Première partie : Portrait de la réalité sociale et importance d'une éducation à la conscientisation critique et à l'engagement. Éducation et francophonie, 30(2).

http://www.acelf.ca/revue/30-2/articles/04-ferrer-1.html

-Legendre, R. 2005. Dictionnaire actuel de l'éducation. Montréal: Guérin

Statistique Canada-

https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm: